Thi Qar Arts Journal
VOL4 NO 46 JUNE. 2024

Place in the poetry of Ahmed Jar Allah Yassin

Abbas Munshid Radhi (PhD student)
basalzyadybasalzyady@gmail.com
https://orcid.org/0009-0008-9667-0223
Dr. Marzie Abad-Associate Professor-
mabad@ferdowsi.um.ac.ir
https://orcid.org/0000-0002-5968-289X
Department of Arabic Language and Literature- Faculty of Letters and Humanities- Ferdowsi University of Mashhad -Mashhad-Iran

Received 27/4/2024, Accepted 28/5/2024 , Published 30/6/2024

Abstract:

Ahmed Jarallah Yassin is an academic at the University of Mosul, specializing in literary criticism. He writes both poetry and prose, with several poetry collections and narrative writings to his name. His work is characterized by satire and humor. I chose his poems and studied them based on the element of place, specifically from a narrative perspective. The research aims to explore the presence of place in the poetry of Ahmed Jarallah Yassin from Mosul, a prolific writer, considering place as a narrative technique or an important element.

The research plan consists of several sections. The first section introduces the concept of place in modern critical literature, describing it as an influential technique in establishing meaning. The second section, titled "Open Place in the Poetry of Ahmed Jarallah Yassin," records the poet's applications of well-known places in Mosul and Iraq, such as the sidewalk as an open place and the famous Dawasa Street in Mosul. The third section, titled "Closed Place in His Poetry," also records closed places, which are almost well-known in Iraq or Mosul, such as the house, prison, and cemeteries. He works on engineering the place based on the dialectic of loss and absence, believing that individuals' sense of place is more impactful than their sense of time. The place remains a cinematic strip imprinted in memory, with the closest places to him being those that remain attached to memories that left a deep wound in the self. By returning to these places, including cities, he keeps them alive in his memory, creating them anew with values different from their geographical ones. Thus, they carry connotations, symbols, and dimensions based on symbolism. The poet sees the loss of the city as a loss of identity and its usurpation, combining the personal feeling of loss with the loss of homelands. Finally, there is a conclusion and sources.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
VOL4 NO 46 JUNE. 2024
Keywords: Narrative place, Ahmed Jarallah, closed place, open place .

المكـان في شعر أحمد جار الله ياسيـن

عباس منشد راضي (طالب دكتوراه)

الأستاذ المشارك الدكتور مرضية أباد (المؤلف المسؤول)

قسم اللغة العربية وآدابها / كلية الآداب والعلوم الإنسانية للدكتور على شريعتي / جامعة فردوسي مشهد / مشهد / إيران

المُلخص

أحمد جار الله ياسين أكاديمي في جامعة الموصل متخصص في النقد الأدبي، يكتب في الجنسين الشعر، والنثر، له عدد من المجموعات الشعرية، وله عدد من الكتابات السردية، وقد تميز بالسخرية، والفكاهة في سرده، اخترت أشعاره، ودرستها على وفق عنصر المكان فيه، أي المكان من جهة التناول السردي، فيهدف البحث إلى الوقوف على حضور المكان في شعر أحمد جارالله ياسين الموصلي، صاحب الإنتاج الغزير، بلحاظ أن المكان تقنية من تقنيات السرد أو عنصر من عناصره المهمة.

جاءت خطة البحث مكونة من عدد من المحاور، أول هذه المحاور التعريف بالمكان في الكتب النقدية الحديثة، بوصفه تقنية مؤثرة في إقرار الدلالة. ثم جاء المحور الثاني بعنوان المكان المفتوح في شعر أحمد جار الله ياسين، سجلت فيه تطبيقات الشاعر أحمد جار الله لبعض الأمكنة المعروفة في الموصل، والعراق، ومنها الرصيف بوصفه مكانا مفتوحا، وشارع الدواسة الشارع المشهور في الموصل. ثم المحور الثالث بعنوان المكان المغلق في شعره ، أيضا سجلت فيه الأمكنة المغلقة وهي تكاد تكون معروفة في العراق أو الموصل، ومنها البيت ، والسجن ، والمقابر، فهو يعمل على هندسة المكان القائم على جدلية الفقد والضياع ، فيرى أن إحساس الأفراد فى المكان يكون أكثر أثراً من إحساسهم بالزمان ، إذ يبقى للمكان شريط سينمائي صوري مطبوع فى الذاكرة ، إلا أن أكثرها قربًا له هي تلك الأمكنة التي تبقى ملتصقة بذكريات تركت جرحًا عميقًا فى الذات ، فبعودته إلى تلك الأماكن ، ومنها المدن يجعلها باقية في ذاكرته ، فهي تُخلَق بثوبٍ جديدٍ يكسبها قيم مغايرة لتلك القيم الجغرافية ، وبذلك تكون قد حملت دلالات وإشارات وأبعاداً قائمة على الرمزية ، فالشاعر يرى أن فقد المدينة هو فقدان للهوية واستلابها ، فيجمع الشعور الذاتي بذلك الفقد أي فقد الأوطان . ثم خاتمة ومصادر.

الكلمات المفتاحية : السرد، المكان، أحمد جار الله ، المكان المغلق ، المكان المفتوح .

المقدمة:

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

تختلف رؤية الشاعر المعاصر للمكان لتعدد الأماكن وانفتاحها على أبعاد مختلفة المستويات ، فهو يلتقط صوراً تجسد واقعه المؤلم بكاميرته المتحركة ؛ بغية جعل القارئ مواكباً للأحداث ، وقد تجسد ذلك في شعره ، وهو يحاول معالجة مشكلات المجتمع عبر التفاعل النفسي معتمداً على أشكالاً مكانية متنوعة متمثلةً في صورة المدينة ،أو الشوارع ، أو البيت ، أو السجون ، والقبور ، وبيان أساليب القمع والظلم ، والاضطهاد من قبل السلطات ، ونقد وتعرية الواقع الاجتماعي ، فالمكان وحضوره في النصوص الشعرية يعدُّ بمثابة المرتكز النفسي للشاعر ؛ كونه يثير المشاعر والاحاسيس والانفعالات ، وعلى هذا الأساس أصبح المكان من العناصر السرديّة التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال ؛ كون المكان يحمل فينا الذكريات وأيام الطفولة والأجزان ويستذكر المشاعر الوجدانية ، وقد شهد الجانب الثقافي بشكل عام ، والأدبي والنقدي بشكل خاص في الآونة الأخيرة ظهور نظريات ومفاهيم حديثة ، تسعى إلى تقديم النص النثري ، والشعري بطرق حديثة ؛ كونها أداة تفكك النصوص على وفق منهجية تحمل في طياتها الأسس والضوابط الخاصة بتفكيك النصوص ، ومن بين تلك التقانات الحديثة هو أسلوب السرد ، والذي حظي باهتمام واسع من قبل النقاد والباحثين ، إذ نجد لعناصر السرد أثر في البناء النصي ، فقد يتقن السارد السيناريوهات الكتابية عبر تحكمه بتلك العناصر، فتوفر على القارئ فضاءات رحبة، تسعى أن تكون أداة توصيلية، وإقناعية، بل تجعل من النص سردا، وقد تماهت الأجناس الأدبية في الأدب العربي، وتداخلت، حتى لا يستطيع الانفكاك من هذا المنحى عند الأدباء ، ولا سيما الشعراء، فأفادوا من تلك العناصر السردية ، وصارت تقنيات شعرية، ولكنها بطريقة مختلفة في التوظيف.

أحمد جار الله شاعر من الموصل، لعب على وتر التماهي في الأجناس، وكتب قصيدة نثر، ناقش فيها هموم الحياة ، والسياقات المحيطة به، وكتبها بلغة تقترب من السرد؛ بسبب كثرة الأحداث، ومن تلك العناصر السردية التي وظفها عنصر المكان، فوجدناه طاغيًا للغاية في أغلب قصائده، وفكرنا أن نجبل النظر به، ونعرف به، ونقف على أنواعه في أشعاره، فسجلنا المكان المغلق، والمكان المفتوح ، ودلالتهما في شعره.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات سابقة على موضوعنا درست المكان عند بعض الشعراء ومنها:

١- البجاوي, محمد طالب غالب (١٩٩٨م) المكان ودلالاته في شعر السياب، ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة .ذكر الباحث في رسالته المفهوم اللغوي ,والفلسفي, والأدبي للمكان, وتطرق

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

إلى أنواع المكان العام ,والخاص ,والواقعي, والمكان الأليف الذي يضم البيت ,والنهر ,والباب ,وذكر المكان الواسع ,وهو البحر, والصحراء ,والمدينة ,والمكان المغلق مثل القبر وغيره ,وتناول الباحث في أحد فصول الرسالة البنية الفنية الصوتية ,والتراثية للمكان . إن المكان والإحساس به من أهم العوامل النفسية الدافعة ,والمحركة في شعر السياب وفي هذه الدراسة وجدت بإدلة مستقاة من شعر الشاعر نفسه ,ومن سيرته وأراءه أن المكان هو الفكرة المولدة الرئيسية, والمؤثرة في نص السياب لكونه من الروابط والعلاقات ذات الدلالة وان صورة المكان من حيث بنيتها الفنية وطبيعتها التي تجسدت بها في شعر السياب هي صورة ذات بناء مشهدي .أن للمكان عند السياب جذوراً تراثية قائمة على فعالية التناص ,وفي هذا النص يتناص مع نصوص مكانية , وغير مكانية والمكان لدى السياب مرّ بمرحلتين على طريق التكامل ,والنضج الفني ,والموضوعي عبر عنهما مرحلة الاتباعية الوصفية والمرحلة الابتداعية الكشفية .

٢- العامري ,ساهرة عليوي حسين ,(٢٠٠٨م) المكان في شعر ابن زيدون ,رسالة ماجستير, جامعة بابل .

إن المكان حظي بعناية فائقة من الفلاسفة , والمفكرين, والدارسين قديما وحديثا لأنه فضاء معاشي يتماشى فيه الزمن اكتسب المكان أهميته في شعر ابن زيدون لأنه فنان مبدع استطاع أن يأخذ ملامح العالم الواقعي ويمزج فيه ذاته, يرسم لوحته الفنية المعبرة ,وكذلك أخذ المكان في شعر الشاعر مجموعة من التشكيلات الثنائية أبرزها تشكيلات المكان الأليف والمكان المعادي التي تمثل المكان الموضوعي .

٣- أبو طبيخ , أمل صالح ,(٢٠٠٤م) المكان ودلالاته في شعر إبي نؤاس, رسالة ماجستير , جامعة بغداد.

حظيت أماكن الطبيعة بكثافة عالية في شعر إبي نؤاس وعبرت عن علاقاته الأليفة بالأخرين , وقد أشتمل توظيف المكان في الطبيعة في شعره إلى إبعاد بعمق المعنى ولجعله صورة مماثلة للمتلقي فجاءت أشعاره لتوكيد ثقافته واطلاعه في اللغة ,فبرزت من خلال الصورة الشعرية الناطقة بالمعنى ,والمحملة بالشعور ومجسدة لفكره في شعره الخمري .

٤ – الخروبي ,غدير عثمان طه,(١٩٩٣م)المكان في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف , رسالة ماجستير , الجامعة الاردنية.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

أهتم منيف بالمكان فوظف الصحراء توظيفا فنياً عميقاً باعتباره من أهم عناصر المكان ,فبدت لوحة فنية تسيطر عليها الحركة بجميع أبعادها كما ان المكان مهما لمعرفة البنية الروائية لمدن الملح إذ أهتم به اهتماما كبيرا وقدمه على بقية العناصر الأخرى جاء المكان عنده متحركاً ,وليس ساكنا وتعدى المكان بعده الجغرافي ليحمل أبعاداً سياسية ,واجتماعية ,ونفسية تبلورت من العلاقة الجدلية التي حددها الكاتب لمكان مع عناصر الرواية.

أهمية البحث:

جاء هذا البحث لإثراء التحليل الشعري عند أحمد جار الله من جهة الوقوف على عنصر المكان بوصفه تقنية شعرية.

أسئلة البحث:

- كيف وظف أحمد جار الله المكان في شعره ؟
- عمَّ يعبر المكان عند الشاعر أحمد جار الله ياسين ؟
- ما نوع الأمكنة التي استعملها أحمد جار الله في شعره ؟
- ما دلالات المكان في شعر أحمد جار الله ؟

منهجية البحث: تناول البحث من خلال المنهج الوصفي، والتحليلي أشعار أحمد جار الله ياسين.

المفاهيم والتعاريف:

المكـــان:

المكان عنصر فَعَّال ، ومؤثر في النتاج الفني ؛ لأنه يأخذ مساراً واعياً ، وفكرياً ، ونفسيّاً ، ويتفاعل مع الذات والجماعة ، ويؤدي الدور الذي يجسّد ذلك الحضور المؤثر والنابض ، عندما يتصل مع غيره مِن المكونات التي ينبني عليها العمل الإبداعي ، فالمكان الفني يعتبر ركيزة أساسية مِن ركائز الشعرية ، وشرط مِن الشروط الفنية الواجب توفرها في النص الأدبي، وهو من الوحدات الأساسية الأشد قرباً إلى الكاتب في تقريب الرؤى الجمالية، والأفكار، حيث تحضر هذه الرؤى ، والمفاهيم ، وتنمو في ذلك الحيز المكاني، وغالبًا ما نجد أن الأمكنة تكون مؤثرة عندما تغدو مؤطرة بالمشاعر، والأحاسيس الإنسانية التي تعبر عن الذات ، وما تحمله من انفعالات ، واضطرابات ، وصراعات ، وأبرز الأمكنة تاثيراً في النتاج الفني ، هي تلك التي تكمن في ذاكرة الإنسان ، وتبقى حية في النشاط الذهني ، والعقلي ، ولا سيما في لحظات ، وأوقات العزلة التي يعيشها الإنسان ، فيلجأ الإنسان إلى التأمل ، والأحلام ،

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

والنكوص صوب مرحلة البـراءة ، والطفولة ، والنقاء ، فيستدعيها في تلك الأوقات معتمداً على مخزون الذاكرة .

فالمكان الحقيقي هو ذلك الحيز الذي يتفاعل معه الشخص بكل عواطفه ، وأحاسيسه ، ومشاعره ، فيحضر في العمل الأدبي لا بوصفه حضوراً مادياً فقط ، بل هو جزء من مشاعر الكاتب ، وأهم ما يميز المكان الفني هو((بعده الدلالي والجمالي ، داخل النصّ وبذلك يفقد المكان حياديته وموضوعيته الأولى إذ يصبح في العمل الفني مصدراً من مصادر الرؤية يبثُ باستمرار الأفكار والذكريات والأحلام))[١].

كما أن علاقة الإنسان بالمكان علاقة أزلية قائمة على العمل المتبادل القائم على الأخذ ، والعطاء ، والتداخل ، والتفاعل ، والتمازج ما بين الإنسان ، ومحيطه ، لذا فان ((المكان حقيقة معاشة يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه))[٢] .

وتتضح أهمية المكان بكونه يشكل ((الحدث الرئيس والبؤرة الوحيدة التي يتنفس من خلاله الشعراء ، فهوية الشاعر مرتبطة بمكانه لذا فإن ارتباط الإنسان بالمكان بائن وواضح في كل المجتمعات))[٣]، ويرتبط المكان في الجانب الأدبي والنفسي فتتعدد مفاهيمه ، فالمكان نفسيًا هو ((المكان المصور من خلال حاجات النفس وتجلياتها وما يحيط بها من أحداث ووقائع أي من خلال الحالة النفسية التي يكون فيها الروائي شخصيات روائية وليس المكان المصـور كما هو قائم فعليا دون تدخل شعـوري ونفسي من الروائي))[٤].

فيعبّر المكان النفسي عن عناصر وجدانية تخص الإنسان ، وبهذا يكون له دور فعّال في المشاركة في الأعمال الأدبية ، وغالبا ما يكون المكان خاضعاً إلى الخيال الذي يعيد بواسطته بناءه بحسب ما تقتضيه تجاربه الأدبية التي يواجهها.

وللمكانِ أهمية مؤثرة في الشعر، فهو من أكثر الأنساق التي تساهم في بناء النصوص الشعرية ؛ لمَا يمتلكه مِن القدرة على أن ((يخلق الحسن للصورة الشعرية والارتفاع بها إلى مصاف الجمال المادي

---

(١) مسلم هوني حسين ، وعادل عبد الكاظم جويد ، تشكلات المكان في شعر نزار قباني قصيدة (الديك) أنموذجاً ، ص٦٨ .

(٢) يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، ترجمة سيزا قاسم ، عيون المقالات ، العدد ٨ ، المغرب ، ١٩٨٧م ، ص٨٣ .

(٣) بدر نايف الرشيدي ، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١٢ ، ص٣٦.

(٤) ابن السائح الأخضر ، جماليات المكان القسطنطيني (قراءة في روايات ذاكرة الجسد) ،دراسة نقدية تحليلية ،سلسلة أبحاث فجر اللغة العربيه وآدابها ، دار الأديب ، وهران، ٢٠٠٧م ، ص٩٧-٩٨ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

للأشياء بحيث يبرز الشاعر فيها كأحد الخالقين للأشياء الذين ما فتئوا يمارسون نشاطاً من نوع السيطرة على مفردات الحياة واخضاعهم لقيم التطور والنمو))[١] .

ويشغل المكان الحيز المحوري في إقامة البنية السردية ؛ كونه يمثل الواجهة التي تؤطر الأحداث ، وتحتضن تفاعلاتها ، فهو مرتبط بالإدراك الحسي لتلك الأحداث عبر تواشج العلاقات مع سير الأحداث وتصاعدها ، فيعمل على التأثير في نوع تلك الأحداث في البناء السردي ، فيتناغم مع مقومات ذلك البناء الأخرى كالشخصيات ، والزمن ، والحبكة ، وهنا تأخذ عناصر المكان أهميتها ، وقيمتها لينشأ التلاحم والتماسك بين أعضاء البناء السردي ، فهو((يمثل درجة من درجات الحيوية والنماء بما يحويه من حركة النفس والمشاعر))[٢].

وفي كثيرٍ مِن الأحيان يقوم المكان بإضفاء صبغاته على الشخصيات ، فيؤثر بطبيعته ، وأنواعه على طباع تلك الشخصيات ، وتقاليدها ، وعاداتها وما تحمله من صفات سلوكية ، ويؤثر كذلك في مَسير الأحداث الحاصلة بواسطته ((فالحكاية التي تتخذ من الريف مكاناً لها تختلف في أحداثها وشخصياتها وصراعاتها عن الحكاية التي تجعل من المدينة إطارا لها والتي تقع في الأحياء الشعبية ليست كتلك التي تحدث في الأحياء الراقية))[٣].

وقد حرص الشاعر أحمد جار الله ياسين على استذكار الأماكن المؤثرة بوصفها شاهداً على تلك الأحداث ، والحاضن لها ومِن ثَمَّ المساهمة بشكل فعّال في تكوين طباع أفرادها ، وتوجيه الجانب النفسي ، وتشكيل الوعي لهم ، فهي تؤثر في سلوكياتهم ، وتوجهاتهم كون الإنسان ابن بيئته ، فهو يسترجع الأماكن المرتبطة بتجاربه الذاتية ، حتى تنوعت الأماكن ، إلا أننا نقتصر على نوعين منها ، وهما: المفتوح ، والمغلق .

القسم التحليلي : دراسة المكان في شعر أحمد جار الله ياسين :

أولاً: المكان المفتوح :

وهو المكان الذي يتسم بالسعة، والمساحة الكبيرة نسبياً بحيث تتمكن الشخصية فيه من أن تمارس حريتها، وتلتقي فيه بمختلف الأجناس البشرية ، الأمر الذي سيسهل عملية الاندماج والتواصل مع

(١) ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي ، دار الثقافة العلمية ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٦م ، ص٣٩٤.

(٢) زيدان محمد ، البنية السردية في النص الشعري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أغسطس ٢٠٠٤م ، ص٢٢١.

(٣) عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية ، مكتبة الشباب، ١٩٨٢م ، ص٥٩.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

غيرها؛ كون هذه الأماكن تعج بالحركة والحيوية ، وغالبا ما يكون المكان المفتوح مكاناً خارجياً غير محدود بحدود ضيقة ، وإنما يشكل فضاء رحباً ، يرسم لوحة رائعة في أجواء مطلقة ومفتوحة ، فيكشف هذا المكان الصراعات الحاصلة بينه وبين الأفراد الذين يعيشون فيه.

وتتميز الأماكن المفتوحة بصفة العمومية كالحدائق، والمقاهي، والشوارع، والبساتين، وتساهم هذه الأماكن في القضاء على الوحدة ، والانعزال ، وذلك حسب نفسية الشخص، فيعبر الكاتب عن طريق المكان عن مدى تمسكه بهويته وانتمائه ، ويتم ذلك عن طريق تصوير المكان ووصفه في أشعاره ، وأعماله الأدبية الأخرى ، وتغلب على هذه الأمكنة صفة اللامحدودية ، أي إن مجمل الأفعال تتعدى الأطر المحددة ، فهو ((مختبر لكثير من التحولات الاجتماعية والنفسية ولأن الإنسان مرتبط بالبيئة المكانية المفتوحة عن طريق حواسه ، ومنظومته الفكرية ، والنفسية ، وبطبيعة الحال فإن هذه الأماكن تؤثر سلباً أو إيجاباً على الإنسان في عمله أو مسكنه أو في الأماكن العامة التي يرتادها سواء كانت قرى أم مدنا او مناطق ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول كالصحراء أو البحار أو الغابات))[١].

ولابد من الاشارة إلى أن الأماكن المفتوحة تكون متغيــرة ومختلفة بفعل الزمن من حيث النوع ، والشكل ، والطبيعة الجغرافية ، فالمكان المفتوح يوحي((بالاتساع والتحرر ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف ولاسيما إذا كان المكان المفتوح في أمكنة الشتات والمنافي والمخيمات ، ويرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق ارتباطا وثيقا ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح توافقا مع طبيعته الراغبة دائما في الانطلاق والتحرر وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح))[٢].

وبما أن الشاعر أحمد جار الله ياسين منشغل في هموم أبناء وطنه ، وله القدرة على الاندماج ، والانصهار، والتماهي مع ذات الوطن ، ومشكلاته ، وقضاياه ، وهمومه ؛ كونه يتسم بعمق الإحساس ، فنجده يقف مع كل ما يواجه الأفراد من أحزان وشدائد ومحن وما تعرضوا له من ظلم وقسوة ووحشية

(١) د.أياد جوهر عبد الله ، التحولات النفسية بالشخصية الروائيه عند عبد الرحمن منيف ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦م ، ص١٨٢.

(٢) حفيظة أحمد ، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية ، منشورات أوغاريت الثقافي ، رام الله ، فلسطين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧م ، ص١٦٦.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

بفعل ويلات الحروب المتلاحقة ، فذهب ليصور لنا مأساة المجتمع وما حَلّ بهم باسلوب سردي مستعيناً بعنصر المكان المفتوح ، وهذا ما نجده في قصيدته التي بعنوان: (دح.....رج.....ـة)[١]:

بعدَ ذبول الحرب

ورقة صفراء... سقطت من تلك الشجرة

التي تقف فوق الرصيف منذ سنوات طويلة...

الريح تقلّب الورقة مثل كرة فوق الرصيف

تصطدم الورق بحذاء أسود

لامرأة تنتظر رجلا....

لكنه لم يات!

يبدأ السارد بصياغة أفكاره بشكل حلمي، يعبر فيه عن تلك الأحلام التي تعيشها الشخصية بأسلوبٍ قائم على التصوراتِ الذهنية معبراً عَن خلجاته النفسية بعيداً عن اللفظ المباشر؛ كون أحلام اليقظة تعرف بانها ((حالة ذهنية تخول إليها الشخصية رغباتها المكبوتة ، فيأتي بشكل أقل من الكابوس أبعد من اليقظة لذلك سميت بـ (أحلام اليقظة) وفي أحيان كثيرة تعود فيها الشخصية صوب الماضي لتستذكره ، وتعيشه بما فيه من ذكريات ، وأفكار ، وصور مترابطة فيما بينها ترابطاً نظامياً ثم يستوقفه شريط ذلك الماضي ، وذكرياته ، فيقف عند صورة معينة تتحول إلى حلم يقظة))[٢].

فهو يصور لنا الواقع المؤلم الذي تعيشه الشخصية ، ويبين صراعاتها النفسية ، وإظهار الرغبات النفسية المسيطرة عليها بفعل ذلك الانتظار ، فيتخذ السارد من هذه اللوحة الوصفية مثالاً لأسئلة قائمة على الجدل بين عالمي الحضور والغياب مستعيناً بالمكان المفتوح ، وهو الرصيف ، وهذا ما نجده في عبارة (التي تقف فوق الرصيف منذ سنوات طويلة) ؛ ليمنح النصّ بعداً ذو فعل تأثيري ينتج عنه ذلك الخيال الواسع.

فقد سرحت الشخصية في عالم اللاواعي بحثاً ، وترقباً ، وأملاً بعودة ذلك الآخر الذي غيبته ويلات الحروب ، والأزمات ، واظهار رغباته المكبوتة والأماني المتوقفة ، وبيـان حجم الانتظار وأثـره .

(١) أحمد جار الله ياسين ، يرحل العراقي ، ص٤٠.

(٢) يمني العيد ، معرفة النص دراسات في النقد الأدبي ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة ١٩٩٩ ص٢١٦-٢١٧ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

فالشاعر يستهل قصيدته بعبارة (بعد ذبول الحرب) ، وهنا دلالة وإشارة على نهاية الحرب ، وزوالها ، فجعل من تلك الفتاة وكأنها ورقة صفراء في مهب الريح ، أو كرة تتقاذفها الوقائع والأحداث الدائرة في وطنها ، وهنا دلالة على عدم استقرار المكان بفعل التقلبات ، والحروب ، فيجسد الواقع وكأنه يلتقط الأحداث الدائرة بكاميرا تصويرية مجسداً انتظار تلك الفتاة لذلك الآخر المغيب المكمل لها ، وهو الرجل الغائب الذي تنتظره لأن ((الذات ليس بمقدورها أن ترسم تصوراتها بعيدا عن الآخر ، كما أن الآخر لا يستطيع أن يتشيئ وينعزل بصفته الاخرويه إلا من خلال عكس تصوراته وابعـاده على الذات المشاركه لـه))[1] ، فالذات الشاعرة تنادي الآخر بألفاظ تدل على الترقب والانتظار مثل(تنتظر رجلا ، تقف فوق الرصيف ، منعطف الحياة) ، وهنا دلالة واضحة على الانتظار في مكان عام يراها الجميع فيه ، فالشاعر يصور لنا المشهد بلغة بديعة ، وباسلوب رائع ، فسقوط الورقة الصفراء دلالة على الذبول ، والانكسار ، والمرض ، والضعف الذي أصاب تلك الفتاة بعد انتهاء الحرب وزوالها ، إلّا أن حلمها بعـودة ذلك الآخر قد تلاشى ، فقد اصابها الحزن ، والألـم ، والوجع لفقدها ذلك الآخر ، فهو بهذا التصـوير يريد أن يبين بأن هذه الفتـــاة قد عاشت ماضياً أليماً . أما غياب الآخر ، وعدم عودته ، واللقاء به ، فقد أضفى هماً آخر عليها في حاضرها ؛ كونها في نهاية المطـــاف قد فقدت كل شيء ، وهذا ما نجـده في المقطـع الآتي [2] :

تجتاز الورقة حذاء المرأة الباكية
وتستمرّ في التَّدحرج
بعد ثوان تتبعها
المرأة
يتدحرجون
معاً ...
الورقة
الصفراء

(١) علي حسن عبيد ، الذات والآخر في شعر جميل حيدر ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٧م ، ص١٥.
(٢) أحمد جار الله ياسين ، يرحل العراقي ، ص٤٠.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

والمرأة

وقطرة من الدمع الأخضر

حتى تختفي خطواتهم

عند نهاية منعطف الحياة ...

فقد فقدت شبابها، ودموعها، والحب الذي كانت تكتنزه لذلك الآخر؛ كونه هو من يعطي الخصب، ويولد الحياة لها من جديد، وإن طال الانتظار لذلك الآخر، وهذا يدل على التعلق ما بين الذات الشاعرة والآخر المفقود لأن ((جدلية علاقة الذات والآخر تعني أنه يستحيل وجود الواحد منهما من غير وجود الآخر أو معرفه أحدهما من غير معرفة الآخر فهما ذاتان منفصلتان ومتصلتان في آن واحد))[١] .

أمّا حركية السرد ، فقد بدأ السارد بها من الماضي عائدا إلى لحظات الحاضر من خلال الخطوط السردية المرسومة التي ابتدأت من نهاية الحرب ، وانتهت بتلاشي حلم الانتظار ، ونهاية حياة تلك الفتاة بعدم اللقاء بذلك الآخر .

أمّا المكان المفتوح فقد وظفه الشاعر توظيفا رائعاً، وجعل له حضورا وجدانيا معتمدا على قدراته الفنية في التوظيف ، فقد اختار عباره (فوق الرصيف) ، فجعل من ذلك المكان المأهول من قبل المارة شاهداً حياً على تلك المعاناة التي تواجهها في فترة الانتظار والترقب أملاً بعودة الآخر الغائب لأن (الآخر هو الكائن المختلف عن الذات ، وهو مفهوم نسبي متحرك يتحدد بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات التي ليس من صفاتها الثبات)[٢] ، وهذا الغياب ناتج بفعل الحروب وما تتركه من مأساة وألم ، فوقوفها على الأرصفة ومفترقات الطرق ، وانتظارها في هذا المكان المفتوح فيه دلالة اشارية كأنها تحمل الجميع مسؤولية ضياعها ووصولها لهذه النهاية الماساوية التي واجهتها، فهي صرخة مدوية لرفض لغة الحروب ، لما تخلفه من اضرار جسدية على كـــافة المستويـــات النفسية، والاجتماعية ، والفكرية ، والاقتصادية، وغالباً ما تكون النساء ضحيتها.

(١) حسين العودات ، الآخر في الثقافة العربية من القرن الخامس حتى القرن العشرين ، الطبعة الأولى، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م ، ص١٩.

(٢) د.نادر كاظم ، تمثلات الآخر ، صورة السرد في المتخيل العربي الوسط ، الطبعة الاولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٤ م ، ص٣١٣ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

ويرى الباحث أنَّ المكان مفتوح في هذا النص جاء عبر الخيال الشعري الذي جعل فضاء المكان أكثر اتساعا عبر فضاء الخيال كون النص الشعري يتألف من مجموعة من الرموز ، والتي تنتظم في بناء سردي يدفع بالمكان ليكون أكثر جمالا ، وأعمق تاثيراً في نفس المتلقي .

إنَّ التناغم الحاصل في ثنايا النص الشعري ، والذي عبر عن الصّراع ، والانكسار الذي تعانيه المرأة في العراق بسبب الاحباطات على المستوى السياسي ، وكثرة الحروب ، فحاول الشاعر بواسطة المكان المفتوح أن يقنع القارئ بتلك الانكسارات؛ لأنه يعي أنّ المكان غني بالدلالات الفكرية العميقة ، والتي سعى إلى توظيفها عبر الخيال الواسع ، والذي تجاوز فيه المألوف ، وفي كثير من الأحيان يستثمر الشاعر الأحداث مستعيناً بالاماكن المفتوحة ؛ ليوظفها ، فينقل لها لمحات شعرية عن حياة بعض الأشخاص ، مستذكرا الأماكن التي فيها ذكرياتهم ؛ لبيان مكانتهم الاجتماعية ، فتأتي قصائده مملوءة بالمشاعر والعواطف ، فتجد في الصدق والوفاء ، وهذا ما نجده في قصيدته التي بعنوان (العزيز)[1]:

(إلى القاص أنور عبد العزيز "رحمه الله")

في الفجر يخرج ماشيا

يعبر الجسور ..... والغيوم ..... والحدائق

لا يحمل سوى كيس أبيض ...

يمتلئ بالأوراق ....

ينثرها على سبورة هذا العالم الرمادي ...

منذ سنين ... أنت تعبر الجسور ...

لكنك لا تتبلل إلا بالكلمات ... ؟

ينهض النصّ على اسلوب التناوب بين زمني الماضي والحاضر، وهذا ينم عن عمق العلاقة بين الشاعر والمرثي، وبيان ذكرياته التي يسعى من خلالها إلى كشف جزئيات النص الشعري، وتنويره، إذ يعد استرجاع الذكريات عنصراً مهما للبناء السردي، فهو يستعيد لحظات الماضي بما ينسجم ، ويخدم لحظة التكلم والإبداع الشعري ، فهو يرى أن المتعة في سرد الذكريات وتركيزه على الأحداث، وذكر مناقب المرثي ، مستعيناً بالمكان المفتوح متمثلاً بالطبيعة وما فيها من حدائق ، وجسور ، وشوارع ، فيمنح البناء السردي قوة من خلال الصراع المتنامي ونغمة الحزن التي تظهر في نفس الشاعر ، وما

(١) أحمد جار الله ياسين ، أمنيات لاعب التنس ، دار ماتسكي للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق ، الموصل ، ص٢٥ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

يتولد من عملية الضد ، والنقيض بين الموت ، وديمومة الحياة ، وهنا تتشكل الصورة المكانية في خيال الشاعر؛ ليعبر فيها عن مشاهد مختلفة.

فيبدأ الشاعر بوصف حال المرثي في وقت الفجر، وهنا دلالة على التجدد ، والنشاط ، والحيوية التي يتمتع فيها المرثي ، فيخرج متفاعلاً مع الطبيعة بما فيها من أماكن مفتوحة كالحدائق ، والغيوم ، والأشجار حاملا معه كيساً من الأوراق ذاكراً اللون الأبيض بدلالة إيحائية تدل على صفاء ، ونقاء روحه ، ونتاجه الأدبي ، فهو ينشر عباراته وأشعاره بما يخدم واقعه المؤلم ، المملوءة بالحرب ، والموت ، والألم ، فقد وظف الشاعر عبارات وألفاظاً أفرزت ثنائية ضدية حركية.

تحيل الى القارئ بقاءَ المرثي حياً بفعل أعماله ونتاجه الأدبي ، وهذه العبارات أسهمت في حركية النص ، فهو يستذكر الأماكن التي يرتادها المرثي بما فيها تلك الشوارع التي تعد جزء من مدينته ، وهذا ما نجده في المقطع الآتي(١):

الشوارع التي تجولت فيها شرقاً وغربا

هي قصصك التي لم يرها شرطي المرور ...

فاصطدم بها النقاد ...

شارع الدواسة عش غرامك الأبدي

والصحف أميرتك الحسناء

التي لا تفارق ذراعيك ...

يستذكر الأماكن المفتوحة ومنها (شارع الدواسة) ، من أهم شوارع الموصل القديمة الذي يحوي على ذكريات الموصليين ، وهنا يتذكر هذا المكان لما له من أهميه ووقع على نفسيته ، فيرى فيه جزءاً من النشاط والحيوية ، فجاء هذا الاستذكار بحركة ارتدادية عاد من خلالها الشاعر لشريط الماضي وما فيه من ذكريات ، والهدف منها تحليل صورة الفقيد .

إن المشهد التصويري الذي رسمه الشاعر عبر عن مشهد استذكاري للمرثي بمنظر يسوده الحزن والألم ، فتظهر ثنائية الحركة بين (الرحيل والبقاء)، الرحيل الذي يتجلى بموت المرثي ، أما البقاء فيتجلى بالذكر الخالد والاثر الذي يتركه الفقيد في نفوس أبناء مدينته وأصدقائه ومحبيه ، فالشاعر يحكي صفات المرثي بلمسات مفعمة بالحزن والألم .

---

(١) أحمد جار الله ياسين ، أمنيات لاعب التنس ، دار ماتسكي للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق ، الموصل ، ص٢٥ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

ويرى الباحث أن استمرار الشاعر في رسم وتصوير الأماكن التي يرتادها المرثي أسهمت بشكل مباشر في نقل الانفعالات النفسية ، والمشاعر ، وتنامي حالة الصراع التي يعاني منها إزاء ذلك الفقد ، وهذا يضفي على النص الشعري الحركية والنشاط ، إن الحركة التي ظهرت في ثنايا النص إنمازت بالتغيير والانتقال من حالة الفقد والرحيل المرثي إلى حالة البقاء والخلود في نفوس محبيه .

فالمكان بهذه الحركية الديناميكية يوحي في أغلب دلالاته إلى بقاء ذكر المرثي ، لذلك يقال ((إن الحركة ولود والسكون عاقر))[١].

وفي نصٍ آخر نجد أن مطلع قصيدة (ينام التاريخ ويستيقظ) يدلنا على ادراك الشاعر لعمق العلاقة بين الزمان والمكان عبر اختياره للمكان الذي ارتحلَ إليه عبر استرجاع ذكريات الماضي ؛ ليقف في النهاية عند تلك الأمكنة ، وقد عمد الشاعر أن تكون مقدمة نصه مفعمة بالحركة مجسداً الارتحال المكاني المتخيل من واقعه الحالي ، إلى مكان آخر متخيل متمثلاً بتلك الذكريات التي عاشها في هذه الأمكنة ؛ ليمهد للمتلقي ما سيواجهه داخل النص من حركة زمنية متصلة بالمكان ، فيقول [٢]:

الموصل طائرة مِن ورقٍ
في ذاكرتي تتأرجح بين الساعةِ والخزرج
تتساءل يا يونس
مَن أدخلنا في جوف الحوت
وخرج ؟
الموصل غازلها ألف غازٍ وكذاب
مروا كلهم
قرب السور والأبواب
ما نالوا منها
غير ضربةَ قبقاب !!

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الاتيه ، المتطرق في كل فن متطرق ، تحقيق محمد قميعه ، دار الكتب العلميه وبيروت ، الطبعه الثالثة ، ١٩٨٦ م ، صفحة ٨٤/٢ .

(٢) أحمد جار الله ياسين ، يرحل العراقي ، ص١٤١ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

يسعى الشاعر في هذا النص إلى بناء سردي قائم على المزاوجة النفسية بين إحساسه الخارجي تجاه مدينته ، واللامحسوس الداخلي ، فيعمد إلى استرجاع ماضيه في تلك الأماكن المفتوحة ، والتي أخذت حيزاً واسعاً في ذاكرته ، ومنها (الساعة ، والخزرج) ؛ كونها أحياء قديمة في مدينته ، اتسمت بالتعايش السلمي بين خليط من المسيح والمسلمين وأقليّة من الطائفة الأيزيدية.

إن استدعاء الذكريات يلعب دوراً دلالياً على مستوى التشكيل الصوري ، وفيه إشارة إلى بؤرة الصراع الداخلي للذات الشاعرة ، فهو يعود إلى هذه الأمكنة بغية الاحساس والشعور بالبقاء ، الذي لا يملكه في واقعه الحالي ، فيسعى لاستعادته زمانياً ومكانياً ، بالعودة إلى تلك الأحياء كمعادل موضوعي للنجاة من الضياع ، فعودته لذلك الماضي بواسطة المكان يشعره بالأمان ، والاطمئنان ، الأمر الذي يسهم في ترميم الذات المحطمة ، وقد وظف قصة النبي يونس (عليه السلام) ، ومعجزة دخوله في جوف الحوت ؛ لاجل معرفة مدى صبره ، وقوة تحمله على الأذى ، فالموصل مهما مرت عليها حوداث الدهر ، وويلات الحروب ، وتعاقب عليها الطغاة ، تبقى شامخة صامدة في قوة أهلها وإصرارهم على مقارعة الظلم والعدوان ، فمهما طالت مدة الاختبار فإن الظلام سينجلي حتماً ، ولن تستطيع أي قوة أن تنال من عزها ، وحضارتها ، وماضيها المجيد ، فهي ستتخلص من هذه المحنة كما تخلص سيدنا يونس (عليه السلام) من جوف الحوت ، إن قسوة الواقع وعبثية الحروب والإرهاب دفع الشاعر بالعودة إلى الوراء عبر الخيال ؛ معتمداً على شريط الذكريات ؛ لخلق واقع متخيل ، يكون بديلاً عن واقعه الحقيقي ، مستعيناً بهذه الألفاظ (الساعة ، الخزرج ، السور ، الأبواب) لما لها من أثر في نفس الشعر ، ودلالة على صدق الشاعر في التعبير عن انتمائه لوطنه ، مما أظفى على النص حساً درامياً عبر الحركية الحاصلة بين عنصري الزمان والمكان .

وقد نجد في بعض النصوص نوعاً من الاغتراب المكاني والروحي يعانيه الشاعر بفعل الرحيل ، أو زيف العلاقات في مجتمعه ، وهذا يدفعه إلى الكشف عن عالمه الداخلي للذات المعذبة ، والصراع مع ذلك المكان ((فإننا نعلم أن المكان ليس سالباً خارجيا تقع فيه الأحداث ولكنه حامل مادي لوعي الشاعر الداخلي))[١] .

(١) سيزا قاسم ، القارئ والنص – العلامة والدلالة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م ، ص٥٨ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

فيشترك معه في تلك الأفكار والصراعات ، وقد سعى الشاعر إلى توظيف المكان في مشهد حي تمتزج فيه عناصر السرد مع الصورة البصرية ، الأمر الذي يدفع المتلقي إلى التفاعل مع هذا المشهد ، وهذا ما نجده في قصيدته التي بعنوان (الغبار الأخضر) يقول فيها [١]:

في شارعٍ ما
يتعانق الغبار
خلفه
شخصانِ عاشقانِ في
محطةِ القطارِ

يتكئ النص على مجموعة من الرموز والعلامات المنتظمة في بناءٍ فني قائم على المتخيل الشعري متخذاً من المكان المفتوح بداية لتشكيل هذا المقطع ، فالاحالة الوظيفية لهذا المكان ، أخذت شكلاً دائرياً مغلقاً عبر إعادة النص لنفسه في مكانٍ مفتوح بداية من لفظة (الشارع) ونهاية في (محطة القطار) عبر الخيال الشعري للذات الشاعرة ، معبراً عن ذلك بأسلوب شعري رائع ، كون عملية الترابط بين المكان والخيال تتسم بالإنفتاح على الفضاء السردي ، فالمكان له القدرة على تحفيز الخيال وتحقيق الإبداع الجمالي من عمق المكان ، وبالتالي الوصول بالنص إلى الانسجام والتناغم ، فالنص يقودنا إلى دلالات وإيحاءات تدور في فضاء يرشدنا إلى نهاية علاقة غرامٍ ، وحبٍ ، وهذه النهاية نستدل عليها عبر مشهد العاشقين وصورتهما الماثلة في محطة القطار ، والتي فيها دلالة ، ورمزية على الرحيل والوداع ، إن صورة الغبار التي تجسدت في مشهدية الحب بين العاشقين تقودنا إلى السخرية من علاقات الحب ، والقداسة التي باتت منتهكة في وقتنا الحاضر ، فقد تحول الحب إلى ملذات ورغبات جسدية سرعان ما تزول وهذا جعل الحب يفقد قداسته ، ومصداقيته ، وبراءته ، فالشاعر يسعى لتوجيه رسالة لنقد واقعه وتعريته ، وبيان أزمات مجتمعه مستعيناً بروح المكان المحمل بدلالات عميقة ، وظفها عبر مخيلته الشعرية ، إذ جعل للمكان دوراً وظيفياً للخطاب المرسل إلى الاخر ، إذ مثل هذا المكان رمزاً جسد تمثلات ذهنية لبيان حالة الألم ، والإحباط ، واليأس ، الذي ألمَّ بالذات الشاعرة على المستوى الشخصي ، والمجتمع على المستوى العام ، فقد أعطى المكان معانياً ذات أبعاد دلالية عبرت عن رفضه للواقع ، وكشفه على حقيقته .

(١) أحمد جار الله ياسين ، برقيات وصلت متأخرة ، ص٣٢ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

ثانياً : المكـان المغلق:

يرتبط المكان المغلق ارتباطا وثيقا بالمكان المفتوح في جميع حالاته الإيجابية ، والسلبية ، فتعمل هذه الأمكنة على تحديد المشاعر المتنوعة من أمان ، وخوف ، ورغبة ، فإن انغلاق المكان وثباته يتعلقان ((بطبيعة الحدث أو شكله أو وظيفته ، فعندما نتتبع الأماكن المغلقة التي فيها الأصوات في أي رواية نستطيع أن نحددها بسهولة من خلال إدراكنا لطبيعة هذه الأحداث وشكلها التي ترتبط حتما بالشخوص)) [١]، فيعمل المكان المغلق على تحفيز الحدث إذ ((لا وجود لحدث دون مكان ولا وجود لمكان دون حدث فكلاهما يستدعي الآخر بطريقة ما))[٢] .

وتلعبُ هذهِ الأمكنة دوراً بارزاً من خلال حركة الشخصيات سواء أكانت رئيسة، أو ثانوية عبر الوصف الذاتي ، والموضوعي، إذن هو مكان محدد المساحة والمكونات أي ((إنّه مؤطر بحدود معينة لا تكشف عن الألفة والأمان ، فقد يكون مصدرا للخوف ، والرعب))[٣] ، فيعدُّ المكان المغلق هو الفضاء المُحدد والمُحاصر للشخصِ أو هو الشيء الداخلي، وتنشأ شعرية الأمكنة المغلقة مِن سيطرة الخيال على النص الشعري، ولها خصيصة الأناقة الفنية، والجمالية مع الطابع الموضوعي؛ كونه يصفُ مكاناً قد قضى فيه الإنسان مدة من حياته بشكل موضوعي لأنَّه ((المكان الفني هو ما لا يعتمد على اللغة وحدها وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع)) [٤]، ويؤثر المكان في الشخصيات داخل النص الأدبي، فيطبعها بطابعه ويكون أثره عميقا فيها((ممَّا يساعد على فهمِ تصرفات الأبطال، وقراءة نفسياتهم وطريقة حياتهم)) [٥] .

وفي أحيان كثيرة نجد أن الأوضاع السياسية، والأمنية، والاجتماعية التي يعاني منها الشاعر سبباً لهروبه من واقعه المؤلم، فيكون رفضه بشكل مباشر جريمة لا تغتفر، فهنا لابد من التحايل ، والتَّلاعب بالعبارات، والألفاظ، ويلجأ إلى استخدام الرمزية ؛ ليبوحَ عمَّا يلجُ في خلجاته من رفض للاوضاع

(١) يوسف الأطرش ، المبنى الحكائي بين معياري الزمنية والسببية ، مجلة بحوث سيميائية ، ص٢٧٦ ، العدد الخامس والسادس .

(٢) وردة معلم ، الفضاء الروائي المصطلح والعلاقات ، مجلة الآداب ، العدد ١٤ ، ٨ ماي ١٩٤٥م ، جامعة قالمة ، ص٨٠.

(٣) فهد حسين ، المكان في الرواية البحرينية دراسة نقدية ، البحرين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، ص١٦٣.

(٤) د. عناد غزوان ، صلاح فضل ، إبراهيم عبد الحميد ، الشعر ومتغيرات المرحلة تيارات في نقد الشعر العربي المعاصر ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٤م ، ص١١٤.

(٥) الشريف جبيلة ، بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الطبعة الأولى ٢٠١٠م ، ص٩٢.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

السياسية ، والمُجتمعية التي يعيشها كسلطة قمعية أو عادات وأعراق اجتماعية بالية لا تنتمي للواقع بأي صلة.

ومما لا شكَّ فيـه أنَّ الشُّعراء يختلفونَ عن الأشخاصِ الآخرين من حيث المشاعر، والعواطف فهم يشعرون بالأشياء بجميع حواسهم، ويتأثرون بها، فكلّما كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية متناقضة ، وليست على ما يرام نجد أن الشاعر يحاول أن ينتقدها ، ويصحح مسارها مستعيناً بالرمزية ، ولم يتوقف الشاعر أحمد جار الله ياسين عند حدود التصريح بموت الأفراد من خلال القيود المفروضة عليهم ، وفقدانهم لحرياتهم فى داخل أوطانهم ، بل سعى لتسخير المكان المغلق ؛ ليكون شاهدا على ذلك عبر إضفاء دلالات تميل إلى الرمز تحمل في ثناياها الكثير من الأبعاد، فهو يطرح بواسطة المكان ، والذي هو سبب رئيس لتلك الأحداث هموم أبناء وطنه بفقدانهم حريتهم في التعبير عن أبسط مقومات حياتهم ، وهذا ما نجده في قصيدته التي بعنوان (سماء الله)[١] :

يقول فيها:

أنا لا أحبذُ تربية لقلق

في البيت...

ليس لأنه يثير القلق

بحجمه الذي لا يتسع له كرسي أبي.....

أو لأن ساقيه

أعلى من مائدة الطعام عندنا

أو لأن منقاره الطويل يصل الرّز أسرع من ملاعقنا

بل لأن جدتي أوصتني

باحترام لمعةٍ بياض ريشهِ المدهش

وهو يحلق عالياً في السماء

وليس عند وقوفه مكتئباً

لساعاتٍ وسط غرفة الضيوف

وربّما

(١) أحمد جار الله ياسين ، لمن تمطر السماء ، ص٩ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

أفضل شراء بلبلٍ صغير

لكنني لا أحبذ وضعه في قفصٍ

ساطلق سراحه مباشرة بعد شرائهِ

يحاولُ الشاعر منذ بداية النص إشاعة أجواء قائمة على الرَّفض، والتَّوتر على المستوى الداخلي، والذي يعبر عن الذات، والمستوى الخارجي المتولد من حالات التصادم الحاصلة بين الشاعر ، والواقع الذي من حوله .

اعتمد النّص على الرَّمزية في تجسيدِ صورةٍ من الصورِ التي مرَّ بها وطنه العراق في مدّة احتلال داعش لمدينته، فهو يسخرُ مِن كل القيود المَفروضة مِن قِبل الجَّماعات الإرهابية، ويمجّد الحرية، فيعمدُ إلى تعريةِ الأوضاع التي يعيشها وطنه ، ويتّضح أنَّ إيمان الشَّاعر بالتحرر، وكسر القيود في زمن انتشر فيه الخراب والدمار والعبثية جعله يلجأ إلى الرمزية مستعيناً ومسخرا المكان المغلق؛ لتفتيت الأحداث السردية بطريقة تميل إلى الغرابة واللامألوف، فهي صورة من الصور السريالية الغرائبية، فاللقلق مكانه الطبيعي في السماء ، وليس في ذلك المكان المغلق (البيت) ، إلا أنَّه جاء في هذا التَّوظيف رمزاً للحرية المفقودة ، فوجود هذا الكائن في السماء هو المكان الحقيقي لكي تكتمل صورته الجمالية، وهو يحلق عالياً حراً طليقا ، فهو يمتنع من تربيته داخل المنزل ليس بفعل القلق والخوف من كبر حجمه الذي لا يتسع لكرسي الأب الذي يرمز إلى (السلطة) ، فهذا البريق واللمعان الذي نجده في القلق ما هو إلا رمزا للسلام والوئام، وهذا لا يتحقق ولا يكتمل إلا بوجود اللقلق محلقا في السماء ، فهو يرى أن وضع اللقلق داخل القفص يوحي إلى القيود ، وهذه رمزية إلى تكميم الأفواه ، ومصادرة حريات الأفراد، والجماعات داخل الأوطان ، فكثيرا ما تجد المأكل والمشرب داخل تلك الأقفاص المغلقة، ولكنها تفتقد إلى حريتها، وكذلك حالنا داخل أوطاننا نفتقدُ إلى الحريّة والتعبير عن الرأي، فحالنا كحال هذا اللقلق الذي فقد بريقه ولمعان ريشه داخل البيت أو في القفص على الرغم من وجود تلك الإنارة الساطعة بفعل المصابيح إلا أنّ بريقه في السماء أجمل وأروع ، ومن خلال المقارنة بين المكان الطبيعي لذلك للقلق وهو (السماء) ، وبين مكانه في البيت داخل القفص، وهو مكان مغلق يبين لنا بأن ((الحرية هي التي تهب الأنسان القدرة على تشكيل المكان وإقامه معماريته، واستلاب

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الحرية هو الذي يعطي المكان القدرة على إعاده صياغة شخصية الآخر، وبناء معماريته من جديد)) [١].

يرى الباحثُ أنَّ الشَّاعر قد أفرغ ما في داخله مِن أحاسيسٍ ، ومشاعرٍ، وأفكار متخفيَّة في عالم اللاشعور ، وأخرجها خروجاً عشوائياً بطريقة بعيدةٍ عن التَّرابط ، إلا أنَّها محملة بإشارات، ورموز، وصور غريبة تحمل لا شعورية عبّرت عن عمق الذات يصعب فهمها بسهولة؛ كونه يمزج بين الواقع، والحلم، واللاوعي، والوعي، فيميل إلى المذهب السريالي، إلّا أنَّ السريالية ليست ((استسلاما سلبياً للهذيان والتحلل العقلي، بل هي إخلال متعقل بالحواس، أي انفلات من القيود اليومية التي تحيطنا بها حواسنا، ولكنه انفلات واعٍ بذاته)).

فقد اعتمد الشَّاعر في هذا النَّص على بناءِ سردٍ قائمٍ في مكانٍ مغلق عبَّر فيه عن تجربةٍ مليئة بالرمز الذي ليس له دلالة ثانية، فهو مفتوح قابل للتأويل؛ كونه يكشفُ عن أعماقِ الذَّات اللاشعورية، معتمداً على الإيحاء النَّفسي، والفكر اللاشعوري، أضف إلى ذلك القدرة والمهارة التي يمتلكها الشَّاعر في تجنّب التّراكيب، والعِبارات المُتكررة ، والتّلاعب في الدلالة لأجلِ الوصول إلى أعماقِ الذَّات الشَّاعرة .

وفي نصٍ آخر يحضر المكان المغلق ونلمس في ثناياه أبعاداً صورية تتسم بالسردية من خلال الصور المترادفة في ذكر الاماكن المغلقة في النص الواحد ، والتي تدل على الضيق ، والكآبة ، والموت ، فيوظفها ويشحنها بدلالات تزيد من ابداعه الشعري ، وفق صور تمنح السرد طاقة كبيرة لدعم خطابه الشعري ، وهذا ما نجده في قصيدة (أرض الله) ، يقول فيها[٢]:

خلقَ الله الأرض وجعلها تتسع للجميع
فلماذا يختصرها الحكام بالسجونِ ...
وغرف الإعدام
والقبور...؟

(١) شاعر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص٣١٨ .

(٢) أحمد جار الله ياسين ، لمن تمطر السماء ، ص٥١ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

إن إحساس الذات الشاعرة بقساوة الواقع دفعه إلى الاستفهام بطريقة تميل إلى الغرابة ؛ كونها تعكس رؤية الوجود ، والتغير الحاصل في عملية خلق الأرض وحرية عيش الأشخاص فيها ، فيعبر عن واقع الحياة ، فجعل من الأمكنة المغلقة بؤرة مركزية ، يلجأ إليها ليمرر نقده السياسي ، والاجتماعي تجاه الحكام ، والسلطات ، ورفضه لأساليب القمع المتبعة ، فتحضر هذه الأماكن وبكل حمولتها ومدلولها الشعبي ، وما تتركه من آثار في جوانب الحياة الاجتماعية ، لا للتعبير عن الواقع المؤلم ، بل لتمثيله ووصفه ، الأمر الذي يسهم في تنشيط ذهن القارئ ، ويعزز قدرته في فك شفرات النص وتأويله ، إن التمازج الحاصل في هذا النص يجسد البعد النفسي الصادر من منظور الذات ، إذ جاء خطابه مكثفاً بالرؤى ، والدلالات ، فبعد أن أغلقت عليه أبواب الأمل ، والحياة التي منحها له الله سبحانه وتعالى يجد نفسه في معادلة غير متكافئة في حياة يسودها القمع ، والاضطهاد ، والظلم ، فيسعى أن يعيد توازنه المفقود ، فعمد إلى اللجوء إلى أسلوب الاستفهام القائم على الغرابة ، والمحمل بالسخرية بعبارة (فلماذا يختصرها الحكام بالسجون) فالنص فيه دلالة واضحة على القمع بدلالة الألفاظ (السجون ، غرف الإعدام ، القبور) ، فعمد إلى السخرية من تلك الأنظمة وما تمارسه من شتى أنواع ، وأساليب القسوة ؛ بغية كتم الأصوات ، بزجهم في مطامير السجون ، والمقابر الجماعية ، إن مشكلة الشاعر ليست مع المكان المغلق ، بل تكمن أزمته النفسية مع تلك السلطات فيأتي المكان محملاً بالدلالة والرمزية ، فقد حشد الشاعر أغلب المفردات التي يريد إيصالها للمتلقي ليعبر عن وجود تلك الاساليب ؛ كون العلاقة بين تلك الأمكنة تبين الجانب النفسي الذي تعانيه الذات الشاعرة ، فمن يتأمل في هذه الألفاظ يجد أن هذه الذات تحتظر نفسياً ، فهي تشعر بالخوف ، والضيق ، والحزن ، والرعب ، فهو لا يجد في هذه الأماكن الحرية والراحة أبداً ، بل يشمُّ فيها رائحة الهلاك ، والموت ، وهذا ما نلمسه فيخبايا الالفاظ التي أبدع في توظيفها ، ومجانستها ؛ ليعبر لنا عمّا لحق الوطن ، وأبنائه من أساليب كان لها الأثر الواضح في نفسه ، فهو يسأل عن التغيرات التي طرأت على نمط الحياة ، فيربط بين المكان المغلق ، والجانب الجغرافي ؛ ليعبر عن البوح الذي يملأ صدره ، وهذا يدل على عمق العلاقة بينه وبين المكان الذي أبدع في توظيفه ؛ كون ((الانتقال المكاني يفرض انتقالا شعوريا ووجدانياً وبالتالي تبرز المغايرة الحياتية والشكلية النفسية))[١] .

(١) حمود ناصر حصون ، المكان في روايات علي البدر ، رسالة ماجستير ، جامعة فيلاديفيا ، الاردن ، ٢٠١٦م ، ص١٩ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

نتائج الدراسة :

١)وظف الشاعر أحمد جار الله ياسين الرمز المكاني بتصوير شعري قائم على الإيحاء متخذاً منه وسيلة للنفاذ إلى الذات الجمعية البشرية ؛ ليعبر من خلاله عن حرية الافراد ، والجماعات ، ورفضه لغة تكميم الأفواه ، والسخرية من الأنظمة السياسية ، ورفض أساليب القمع من خلال المزج ببراعة فنية بين الرمز ، ومشاكل المجتمع ، فيعمد إلى تشكيل الأمكنة شعرياً وفق رؤيته المغايرة .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

٢)تنوع الأمكنة في شعر أحمد جار الله ياسين بين المكان المفتوح ، والمكان المغلق ، وفي كليهما نجدُ عمق المعاني التي تتجاوز المظهر وتعمل على إيجاد المعاني المعبرة عن واقعه المجتمعي .

٣)لمسنا أن صورة المكان عند الشاعر تدل على عمق العلاقات المكانية الملتصقة بالوطن ، والمدينة ، فقد كانت مفردات (الموصل ، الساعة ، الخزرج ، شارع الدواسة) من أبرز المعالم المكانية التي جسدت صدق انتمائه الوطني وحبه لمدينته ، وعودته لتلك الذكريات التي يجد فيها الراحة والامان ، وهروباً من واقعه الحالي.

٤) سجل المكان المفتوح والمغلق حضوراً فعالاً في أغلب نصوصه الشعرية ، فجاء محملاً بسمات سردية ، وأخرى شعرية ، فترى التقارب بين السرد ، والشعر ، الأمر الذي يجعلها مفتوحة على عدة قراءات ممكنة .

مصادر البحث :

١. المتطرف في كل فن متطرف ،شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهيّ ، ١٩٨٦ م، ، تحقيق: محمد قميعه، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة.
٢. بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية ، حفيظة أحمد ، ٢٠٠٧م ، رام الله ، فلسطين ، منشورات أوغاريت الثقافي ، الطبعة الأولى .
٣. جماليات المكان القسطنطيني (قراءة في روايات ذاكرة الجسد) ، دراسة نقدية تحليلية ، ابن السائح الأخضر ، ٢٠٠٧م ، ، وهران ، سلسلة أبحاث فجر اللغة العربيه وآدابها ، دار الأديب ، الطبعة الأولى .
٤. المبنى الحكائي بين معياري الزمنية والسببية ، يوسف الأطرش ، ٢٠٠٩م ،مجلة بحوث سيميائية ، العدد الخامس والسادس .
٥. بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني ، جبيلة الشريف ، ٢٠١٠م ، أربد ، عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى .
٦. المكان في الرواية البحرينية دراسة نقدية ، فهد حسين ، ٢٠٠٣م ،البحرين ، الطبعة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الأولى .
٧. تشكلات المكان في شعر نزار قباني قصيدة (الديك) أنموذجا ، مسلم هوني حسين ، وعادل عبد الكاظم جويد ، المجلد٨ ، العدد ٢ ، ٢٠١٨م ، العراق ، جامعة ذي قار ، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ذي قار.
٨. صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف ، بدر نايف الرشيدي ، ٢٠١٢م ،رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الاوسط .
٩. ، التحولات النفسية بالشخصية الروائيه عند عبد الرحمن منيف ، أياد جوهر عبد الله ، ١٤٣٧ هـ . ، ٢٠١٦م ، عمان ، الأردن ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .
١٠. الذات والآخر في شعر جميل حيدر ، علي حسن عبيد ، ٢٠١٧م ، رسالة ماجستير ، العراق ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ذي قار.
١١. بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية ، عبد الفتاح عثمان ، ١٩٨٢م ، مكتبة الشباب.
١٢. الآخر في الثقافة العربية من القرن الخامس حتى القرن العشرين ، حسين العودات ،٢٠١٠م ، ، بيروت ، لبنان ، دار الساقي ، الطبعة الأولى .
١٣. معرفة النص دراسات في النقد الأدبي ، يمني العيد ، ١٩٩٩م ، ، بيروت ، دار الآداب ، الطبعة الأولى .
١٤. الشعر ومتغيرات المرحلة تيارات في نقد الشعر العربي المعاصر، د.عناد غزوان ، وصلاح فضل ، وإبراهيم عبد الحميد ،١٩٨٤م، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
١٥. تمثلات الآخر ، صورة السرد في المتخيل العربي الوسط ، د.نادر كاظم، ٢٠٠٤م ، بيروت، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى .
١٦. مشكلة المكان الفني ، يوري لوتمان ، ترجمة: سيزا قاسم ، المغرب ، عيون المقالات ، العدد ٨ ، ١٩٨٧م .
١٧. البنية السردية في النص الشعري ، زيدان محمد ، أغسطس ٢٠٠٤م ، الهيئة العامة لقصور الثقافة .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

٢٠. إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير، ١٩٨٦م ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الثقافة العلمية .

٢١. يرحل العراقي، أحمد جار الله ياسين ، ٢٠١٧م، دار كتابات جديده للنشر الإلكتروني ، الطبعة الاولى .

٢٢. لمن تمطر السماء ، أحمد جار الله ياسين، ٢٠١٨م، العراق- بغداد ، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى.

٢٣. أمنيات لاعب التنس، أحمد جار الله ياسين ، ٢٠١٩م ، العراق، الموصل، دار ماتسكي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .

٢٤. المكان في روايات علي البدر ، حمود ناصر حصون ، رسالة ماجستير ، جامعة فيلاديفيا ، الاردن ، ٢٠١٦م .

٢٥. القارئ والنص – العلامة والدلالة ، سيزا قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م .

references

1. **The Extremist in Every Art is an Extremist**, Shihab al-Din Muhammad ibn Ahmad Abi al-Fath al-Abshihi, 1986, edited by Muhammad Qami'a, Beirut, Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 3rd edition.
2. **The Structure of Discourse in Palestinian Women's Novels**, Hafiza Ahmed, 2007, Ramallah, Palestine, Ugarit Cultural Publications, 1st edition.
3. **The Aesthetics of the Constantinople Place (A Reading in the Novels of Memory of the Body)**, Analytical Critical Study, Ibn al-Sa'ih al-Akhdar, 2007, Oran, Series of Researches of the Dawn of Arabic Language and Literature, Dar al-Adib, 1st edition.

---

١٨. الفضاء الروائي المصطلح والعلاقات ، وردة معلم ، ٨ ماي ١٩٤٥م ، جامعة قالمة ، مجلة الآداب ، العدد١٤ .

١٩. جماليات المكان في الرواية العربية ، شاعر النابلسي ، ١٩٩٤ م ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

4. **The Narrative Structure Between the Criteria of Temporality and Causality**, Youssef al-Atrash, 2009, Semiotic Research Journal, Issue 5 and 6.
5. **The Structure of Narrative Discourse in the Novels of Naguib al-Kilani**, Jabila al-Sharif, 2010, Irbid, Modern Book World, 1st edition.
6. **The Place in Bahraini Novel: A Critical Study**, Fahd Hussein, 2003, Bahrain, 1st edition.
7. **The Formations of Place in the Poetry of Nizar Qabbani: The Rooster Poem as a Model**, Muslim Honi Hussein and Adel Abdul-Kadhim Juwed, Volume 8, Issue 2, 2018, Iraq, University of Dhi Qar, Journal of the College of Education for Human Sciences, University of Dhi Qar.
8. **The Artistic Image of Place in the Poetry of Ahmed al-Saqaf**, Badr Nayef al-Rashidi, 2012, Master's Thesis, Middle East University.
9. **The Psychological Transformations of the Novel Character in the Works of Abdul Rahman Munif**, Iyad Jawhar Abdullah, 1437 AH, 2016, Amman, Jordan, Dar al-Mu'taz for Publishing and Distribution, 1st edition.
10. **The Self and the Other in the Poetry of Jamil Haidar**, Ali Hassan Ubaid, 2017, Master's Thesis, Iraq, College of Education for Human Sciences, University of Dhi Qar.
11. **The Construction of the Novel: A Study in the Egyptian Novel**, Abdul Fattah Othman, 1982, Youth Library.
12. **The Other in Arab Culture from the Fifth Century to the Twentieth Century**, Hussein al-Aoudat, 2010, Beirut, Lebanon, Dar al-Saqi, 1st edition.
13. **Understanding the Text: Studies in Literary Criticism**, Yumna al-Eid, 1999, Beirut, Dar al-Adab, 1st edition.
14. **Poetry and the Changes of the Stage: Trends in Contemporary Arabic Poetry Criticism**, Dr. Anad Ghazwan, Salah Fadl, and Ibrahim Abdul Hamid, 1984, Baghdad, Dar al-Shu'oon al-Thaqafiyya.
15. **Representations of the Other: The Image of Narrative in the Arab Middle Imagination**, Dr. Nader Kazem, 2004, Beirut, Lebanon, Arab Institution for Studies and Publishing, 1st edition.
16. **The Problem of Artistic Place**, Yuri Lotman, translated by Siza Qasim, Morocco, Ayon al-Maqalat, Issue 8, 1987.
17. **The Narrative Structure in the Poetic Text**, Zidan Muhammad, August 2004, General Authority for Cultural Palaces.
18. **The Novelistic Space: Terminology and Relations**, Warda Ma'lam, May 8, 1945, University of Guelma, Journal of Literature, Issue 14.
19. **The Aesthetics of Place in the Arabic Novel**, Sha'er al-Nabulsi, 1994, Beirut, Arab Institution for Studies and Publishing, 1st edition.
20. **The Problem of Place in the Literary Text**, Yassin Al-Nassir, 1986, Ministry of Culture and Information, Dar Al-Thaqafa Al-Ilmiya.
21. **The Iraqi Departs**, Ahmed Jarallah Yassin, 2017, Dar Kitabat Jadida for Electronic Publishing, First Edition.
22. **For Whom the Sky Rains**, Ahmed Jarallah Yassin, 2018, Iraq - Baghdad, Dar Noon for Printing, Publishing, and Distribution, First Edition.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

23. **The Tennis Player's Wishes**, Ahmed Jarallah Yassin, 2019, Iraq, Mosul, Dar Matski for Printing, Publishing, and Distribution, First Edition.
24. **Place in the Novels of Ali Al-Badr**, Hamoud Nasser Hisoun, Master's Thesis, Philadelphia University, Jordan, 2016.
25. **The Reader and the Text – Sign and Signification**, Siza Qassem, Egyptian General Book Organization, 2003.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.